المقدمة

تحيط بالعالم العربي الأخطار من كل جانب وعلى كل مستوى فعلى المستوى السياسي والعسكري فإن فلسطين والعراق ترزحان تحت نير الاحتلال الإسرائيلي والأمريكي ، وعلى المستوى السياسي فإن الحكومات العربية ترزح تحت نير التبعية لمستعمريها ، وعلى المستوى الاقتصادي فإن البلاد العربية أصبحت مستعمرة للمحتلين يسخرونها لما فيه مصلحتهم وخرابنا ، وعلى مستوى التعليم أصبحنا نعيش على ما نستورده وما نستعيده من علوم طبيعية وتكنولوجية من الغرب ، ومن علوم دينية ولغوية من الأجداد ، وفي الحالتين نحفظ تلك العلوم والمعارف ونكررها فلا اتبعنا مناهج الغرب التي أنتجتها فنرقى ، ولا فهمنا منهج أسلافنا فنتقدم ، وعلى مستوى الإعلام نعيش في زمن السموات المفتوحة التي تغزونا في عقر دارنا وتقتلعنا من جذورنا ، وعلى مستوى الثقافة لبسنا ثوب الحضارة على أجسام متخلفة فلبسنا ما يلبسون وأكلنا ما يأكلون وطربنا لما يسمعون فأصبحنا كالغراب الذي قلد مشية الطاووس فنسي مشيته .

خلاصة القضية

توجز في عبارة

لقد لبسنا قشرة الحضارة

والروح جاهلية . (1)

(1) من قصيدة " هوامش على دفتر النكسة " لنزار قباني .

نسمع الأصوات تعلو والحناجر تزعق الغرب هو السبب فيما نحن فيه لقد غزو أرضنا وغزو عقولنا وغيروا أخلاقنا ...

لقد صنعنا أعظم حضارة في التاريخ لقد علمنا العالم معنى الحضارة لقد كان أجدادنا كذا وكذا .. وإن الاستعمار الغربي وربيته إسرائيل هما السبب فيما وصلنا إليه ولولاهما لكنا سادة العالم كما كنا سادته .

إن بعض الكتاب مُصِرٌّ على أن الغرب الرجيم والصليبيين : قدماء ومحدثين هم السبب فيما صرنا إليه ، لقد دمروا حضارتنا واغتالوا ثقافتنا ، والحقيقة أن الحضارة لا تقتل بل تنتحر ، والعاجز من لا يأخذ في الأسباب النصر ويُرجِع لعدوِّه أسباب الهزيمة .

ما دخل اليهود من حدودنا

وإنما .. تسربوا كالنمل من عيوبنا [1]

نعم هناك من يتربص بنا الدوائر ولكن ألم يكن لأجدادنا العظماء أعداء ؟

ألم يكن هناك مشركون في مكة ويهود ومنافقون في المدينة ،وفرس وروم خارجها؟

أما كانوا يكيدون لهم ليل نهار ، فلم تقدموا وتخلف غيرهم ؟

ولِمَ رُدَّ الكيد إلى نحر أعدائهم ؟

لأنهم كانوا أقوى وأعلم وأتقى من كل كيد ومكر ، ولما ضعفنا { فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا }.(مريم : ٥٩)

يا سادتي كفانا لعناً لأعدائنا ، والتغني بأمجادنا . إن التغني بأمجاد الماضي لن يعيده ، ولعن الأعداء لن يقهرهم ؛ فالتاريخ يحكم على من اكتفى برواية أمجاد

---

[1] نفسه .

الماضي ، ولم يقم بدوره المنوط به فلم يقدم أفكاراً بنَّاءة ، ولم يبذل الجهد المخلص في تحقيقها – التاريخ يحكم عليه بأن يذل في وطنه ، ويخضع لأعدائه .

إن الذي يعيد مجدنا ويدحر أعداءنا هو أن نتخلص من عيوبنا التي ورثناها من فترات الضعف والتخلف وأن نسلك المنهج الإلهي لميراث الأرض .

ولله ملك السموات والأرض بالإيجاد والاختراع، والملك والسلطان، ونفوذ الأمر والإرادة { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّـهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّـهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ}(البقرة : ١٠٧)

والله تعالى يورث الأرض من يشاء من عباده .

{إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (الأعراف:١٢٨)

ولقد بيَّن تعالى منهجه في ميراث الأرض وصفات المستحقين لهذا الميراث فقال {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} (الحج:١٠٥)

فشرطا ميراث الأرض : الصلاح وإصلاحها ، وعباد الله الصالحون لعمارة الأرض هم ورثتها ، هذه هي سنة الله في خلقه التي لا استثناء فيها ولا محاباة .

فإن صلح المسلمون وأصلحوا أنجز الله تعالى لهم وعده بالاستخلاف في الأرض.

{ وَعَدَ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} (النور : ٥٥)

فهل يستحق العرب المحدثون ميراث الأرض أو الاستخلاف فيها ؟

وهل يتوفر فيهم شرطا الصلاح والإصلاح أو الإيمان والعمل الصالح ؟

وما تلك الصفات التي جعلتهم مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس؟

وما سمات أجدادنا الذين أورثهم الله الأرض يتبوءون منها حيث يشاءون ؟

وما السبيل للصلاح والإصلاح والتقدم والرقي ، ودفع الغزو العسكري والسياسي والاقتصادي والثقافي ؟

هذا ما سنحاول أن نجيب عنه في هذا الكتاب .

والكتاب ثمانية فصول هي :

الفصل الأول : التعريف بالصهيونية العالمية وتفنيد أباطيلها ، وبيان مخطط الصليبيين الجدد (١) وسَوْق الأدلة من التاريخ والواقع لبيان صحة هذا المخطط .

الفصل الثاني : ذكر موقف العرب والمسلمين من هذا المخطط ، مع بيان الفهم الخاطئ لدى كثير من العرب والمسلمين عن حقيقة الصراع .

الفصل الثالث : التعريف بنظريات المؤرخين المتعلقة بالنظام التاريخي ، وتطوره ،وتفنيد آرائهم واقتراح نظرية جديدة لتفسير نشأة الحضارة وتطورها .

الفصل الرابع : بيان مقوِّمات الحضارة المصرية القديمة (أُمّ الحضارات) والرد على الافتراءات التي أُثِيرت حولها .

الفصل الخامس : بيان مقومات الحضارة اليونانية .

الفصل السادس : بيان مقومات الحضارة الإسلامية في العصور الوسيطة .

الفصل السابع : بيان مقومات النهضة الأوربية في العصور الحديثة . ونقد موضوعي لها .

الفصل الثامن : بيان لموقف العلمانيين ، والسلفيين من النهضة العربية .

والله نسأل أن يهدينا سبل الرشاد وأن يجنبنا الزلل والفساد .

محمد يونس هاشم

٣١ / ١٢ / ٢٠١١

(١) نقصد بهذا المصطلح أمريكا وحلفاءها .